

أوبنهايمر: شظايا الضمير في مرآة السينما

لم يكن "أوبنهايمر" بالنسبة لي مجرد فيلم عن صنع قبلة، أو سيرة ذاتية لرجل استثنائي، بل كان "مرآة" لضميرنا الجماعي. لقد خرجت من الفيلم بشعور غريب يمتزج فيه الانهيار البصري بالثقل الوجودي؛ وكأنني شهدت لحظة انكسار العالم، لا لحظة تكوينه.

ما الذي استوقفني فلسفياً؟

ما جعلني أتوقف طويلاً أمام هذا العمل هو ذلك الصراع الأزلي: كيف يمكن للعلم — الذي هو في جوهره بحثٌ عن الحقيقة — أن يتحول في لحظةٍ إلى أداة تدمير لا ترحم؟ الفيلم لم يطرح أوبنهايمر كبطل أو كضحية، بل طرحه كإنسان واجه معضلة "بروميثيوس": ذلك الذي سرق النار ليضيء للبشرية، فحرقهم. التساؤل الذي رافقني طوال مشاهدة الفيلم هو: هل نحن كبشر نستحق قوة كهذه؟ وهل طموحنا العلمي يسبق دائماً نضجنا الأخلاقي؟ هذه ليست مجرد أسئلة تاريخية، بل هي مرآة لواقعنا الحالي.

الجمال الفني كأداة للسرد

على الصعيد التقني، أجد أن كريستوفر نولان لم يكتفِ بإبهارنا بالصورة، بل وظّف الجماليات لتكون جزءاً من الحكاية. الانتقال بين الأبيض والأسود والألوان لم يكن خياراً عشوائياً، بل شعرت أنه "تفكير بصري" عبثي: فالألوان كانت تعكس رؤية أوبنهايمر الذاتية، عالمه الداخلي المضطرب، بينما كان الأبيض والأسود يمثلان الحقائق السياسية الباردة والموضوعية القاسية التي لا تقبل الجدل.

أما كيليان مورفي، فقد قدم أداءً لا يحتاج لحوارات طويلة؛ ففي عينيه رأيتُ "الخوف" من الشيء الذي خلقه. والموسيقى التصويرية لم تكن مجرد خلفية، بل كانت "نبض" الفيلم؛ توترٌ صاعد لا يمنحك فرصة لالتقاط أنفاسك، مما جعل من ثلاث ساعات من المشاهدة تجربةً سينمائية مكثفة تلتصق بالذاكرة.

الخلاصة: هل هو فيلم عابر؟

أعتقد أن "أوبنهايمر" ليس فيلماً للمشاهدة العابرة؛ إنه عمل يضعك أمام مسؤوليتك كإنسان قبل أن تكون مشاهداً. ورغم أن الفيلم كان طويلاً، وقد يرى البعض أن وتيرته سريعة في بدايته، إلا أن كل ثانية فيه كانت ضرورية لبناء ذلك الانهيار الأخلاقي الذي نصل إليه في النهاية.

في الختام، يظل السؤال الذي يطرحه الفيلم معلقاً في الأفق: بعد كل هذا الجدل الفني والسياسي، هل تعتقدون أن أوبنهايمر كان بطلاً حاول إنهاء الحرب بأسلوبٍ قاطع، أم كان "مدمر العوالم" الذي منح البشرية سلاح فتاتها؟

فيلم "أوبنهايمر" (Oppenheimer) للمخرج كريستوفر نولان هو مادة دسمة جداً للنقد، فهو فيلم يجمع بين السيرة الذاتية، الإثارة السياسية، والدراما النفسية.